معهد الفلسفة والكلام الإسلامي

مركز العلوم والثقافة الإسلامية

"مؤتمر التعاليم الدينية ومسألة النفس والجسد"

٩ ــ ١٠ مارس ٢٠١١، قم، إيران

مشكلة الوعي في إطار منهج الفصل والوصل

"بحث في حدود كل من الفكر الديني والفكر العلمي في تفسير ظاهرة الوعي"

سمير أبو زيد

مقدمة

يمكن القول بأن القضية الأساسية للمجتمعات الإسلامية المعاصرة هي مشكلة العلاقة بين العلم والدين. وذلك لأن هذه المجتمعات تطمح إلى التحول إلى حالة الدولة الحديثة المستقرة والفاعلة التي تحقق فائضا إنتاجيا يمكنها من تبوء المكانة الملائمة لها في هذا العالم ومقاومة الضغوط الدولية الواقعة عليها. وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال تحقيق طفرة علمية، إذ العلم هو الأداة التي يمكن من خلالها تحقيق الأهداف المجتمعية في أرض الواقع. كذلك، إذا كان الدين الإسلامي هو الأساس الذي تقوم عليه الحضارة الإسلامية ونظرة مجتمعاتها إلى العالم، فإن العلم هو الوسيلة التي يمكن من خلالها تحقيق هذه النظرة في أرض الواقع.

لذلك يصبح تحقيق العلاقة الصحيحة بين الدين الإسلامي ونظرة المجتمعات الإسلامية إلى العالم، من ناحية، وبين العلم، من ناحية أخرى، أمرا جوهريا من أجل تحقيق النهضة المجتمعية. ولا تتحقق هذه العلاقة الصحيحة من مجرد التقرير النظري بأن الدين الإسلامي لا يتعارض مع العلم ولا من خلال الانسحاب من المشاركة في الجهود العلمية الإنسانية بدعوى إسلامية المعرفة. وإنما تتحقق هذه العلاقة الصحيحة من خلال المشاركة الفاعلة في البحث العلمي الإنساني المعاصر ومحاولة طرح تصورات قائمة على نظرة المجتمعات الإسلامية إلى العالم تشارك في صياغة وتقدم المعرفة الإنسانية.

أ. *العلاقة بين الدين والعلم*

تنقسم العلاقة بين العلم والدين إلى ثلاثة أقسام. أولا القضايا الدينية التي لا علاقة للعلم بها. ثانيا، القضايا العلمية التي لا تختلف من دين لأخر. ثالثا، القضايا المشتركة الدينية – العلمية. يتضمن القسم الأول القضايا الخاصة بالعبادات والتي تعبر عن علاقة الإنسان بالله، والقضايا الخاصة بالعلاقات الشخصية التي تعبر عن علاقات الإنسان الفردية. ويتضمن القسم الثاني الحقائق العلمية غير القابلة للجدل، والتي لا يمكن إثبات عدم صحتها، وكذلك تتضمن القواعد المنطقية الثابتة المتفق عليها، والتي لا تختلف من دين إلى آخر. أما القسم الثالث فيتضمن القضايا العلمية غير المحسومة أو القضايا المجتمعية التي تعبر عن علاقة الإنسان بالإنسان عموما والتي تقوم على أسس علمية واعتقادية في نفس الوقت.

لا يمثل القسمين الأول والثاني أية إشكالية فيما يخص العلاقة بين العلم والدين، إذ يمثلان مجالين منفصلين تقريبا عن بعضها البعض. أما القسم الثالث فيمثل إشكالية عصية

على الحل حتى الآن في المجتمعات العربية والإسلامية. ففي بعض الأحيان يتم معالجة هذه القضايا العلمية – الدينية المشتركة من خلال الاعتماد على الفكر الديني وحده، فتكون النتيجة هي أن يجور الدين على العلم. وفي أحيان أخرى يتم معالجتها اعتمادا على الفكر العلمي وحده، فتكون النتيجة أن يجور العلم على الفكر الديني.

لذلك يتركز السؤال على كيفية معالجة هذه القضايا المشتركة بدون أن يجور العلم والدين كل منهما على الآخر. والإجابة على هذا السؤال تتمثل في ضرورة وجود منهج مستقل لهذا النوع من القضايا يضمن تحقيق هذا الهدف.

في هذا العمل نطرح منهج "الفصل والوصل" كاقتراح لمعالجة هذا النوع من القضايا باعتباره المنهج الملائم لتحقيق الهدف المطلوب. كما نطرح قضية الوعي كمثال معاصر على أحد القضايا المشتركة الدينية – العلمية، من أجل بيان كيف يكون التطبيق العلمي لهذا المنهج وبيان كيف يمكن معالجة هذا النوع من القضايا اعتمادا عليه.

ب. *مشكلة الوعي والعلاقة بين الدين والعلم*

مشكلة الوعي في الفكر العلمي والفلسفي المعاصر هي امتداد لقضية العقل والمخ والتي هي امتداد لقضية الروح والجسد. ولكن قضية الوعي تتميز بأنها تربط تخصصات علمية عديدة إلى جانب الفلسفة وعلم النفس. وإذا كانت الحلول المطروحة للقضيتين السابقتين عليها هي تصورات عمومية غير تفصيلية تتراوح ما بين التصور الثنائي الذي يتوافق مع التصورات الدينية وما بين التصور الواحدي المادي الذي يتعارض معه فإن قضية الوعي أكثر تعقيدا من ذلك بكثير[1].

ونظرا لتعدد وتشعب المشكلات التي تتضمنها قضية الوعي فإن الفكر الفلسفي والعلمي المعاصر لم يصل إلى تفسير أو حل لهذه المشكلات بعد. هذا إلى حد أن بعض الاتجاهات الفلسفية المعاصرة ترى أنها قضية غير قابلة للحل من حيث المبدأ. لذلك أقصى ما تطمح إليه أية محاوله لمعالجة مشكلة الوعي هي تحقيق نوع من التقدم في معالجة القضية بهدف المساهمة في التراكم المعرفي في الموضوع.

لذلك ليس هدفنا في هذا البحث هو تقديم حل أو تفسير جديد لمشكلة الوعي يكون متوافقا مع الدين الإسلامي، فذلك أمر بعيد المنال وتحتاج المحاولة فيه إلى تصنيف عمل أو

[1] بالنسبة لاستعراض تفصيلي لمشكلة الوعي يبين تشعب المشكلات المتعلقة بها والمواقف المتعددة بخصوصها في الفكر المعاصر انظر بحثنا،

سمير أبو زيد، ٢٠٠٨، "الوعي، هل يصبح أحد خواص المادة؟ ، البحث عن قوانين أساسية جديدة في الطبيعة"، *مجلة الجمعية الفلسفية المصرية* العدد ١٧.

أعمال كبيرة. ولكن ما نهدف إليه هنا هو بيان كيف يمكن التعامل مع مشكلة الوعي في ضوء التطورات العلمية المعاصرة. وذلك بشكل يجعل الاتساق بين التصورات العلمية لهذه المشكلة، أو جزء أساسي منها، متسقة (أو غير متناقضة) مع التصورات الدينية الإسلامية لمشكلة الروح على العموم، ومشكلة النفس الإنسانية على الخصوص.

ج. *منهج وتقسيم البحث*

نرتكز في هذا البحث بشكل أساسي على أعمالنا السابقة في الموضوع، سواء في قضية العلاقة بين الدين والعلم أو في مشكلة الوعي ذاتها. ونظرا لمحدودية المساحة المتاحة في مثل هذا البحث فلن يمكننا أن نتطرق إلى التفصيلات الدقيقة لأي من هاتين القضيتين الأساسيتين. ولذلك سوف نستعرض هنا المنطق العام للمشكلة والمنهج الصحيح لمعالجة القضية. وذلك بحيث لا تمثل هذه المعالجة جزءا من الفكر الإسلامي المنفصل عن العلم المعاصر، وإنما تكون مشاركة فاعلة في العلم الإنساني المعاصر وجزءا منه. ويمكن للقارئ المهتم بتفصيلات القضايا التي نوردها هنا الرجوع إلى المراجع التي نوردها في الملاحظات ومن ضمنها أعمالنا التي عالجنا فيها هذه القضايا بشكل تفصيلي دقيق ومعاصر.

في ضوء ذلك، نستعرض في القسم الأول من هذا البحث مشكلة القضايا الدينية – العلمية المشتركة، عموما، ومشكلة العلاقة بين العلم والدين الإسلامي خصوصا. وفي القسم الثاني نطرح، بناء على أعمال سابقة عديدة، منهج "الفصل والوصل" بهدف إثبات أن هذا المنهج قادر على تحقيق تقدم حقيقي في إشكالية العلم والدين. ثم نستعرض في القسم الثالث مشكلة الوعي في الفكر العلمي المعاصر ونبين كيف أنها تنتمي إلى فئة القضايا العلمية غير المتفق عليها، وأن العلم لم يصل إلى حل معين لها حتى الآن. ثم أخيرا نقدم معالجتنا لقضية الوعي باستخدام هذا المنهج ونبين كيف يمكن معالجة القضية على المستويين العلمي والديني في نفس الوقت بدون وجود تناقض بين الاثنين.

أولا : مشكلة القضايا العلمية الدينية المشتركة

يدرك الإنسان العالم من خلال أساليب ثلاث: الاعتقاد المباشر، التفكير المنطقي، والتجربة العلمية. لذلك نشأت في الفكر الإنساني ثلاثة مجالات أساسية هي الدين والفلسفة والعلم. ولكل من هذه المجالات المنهج الملائم لطبيعته والموضوعات التي يعالجها. فالدين يعالج الموضوعات المتعلقة بالاعتقادات النهائية عن العالم، كيف نشأ، هل هناك خالق للكون أم لا، ما هي طبيعة الإنسان خير أم شر، كيف يتعامل الإنسان مع الإنسان من الناحية الأخلاقية..الخ. والفلسفة تتعامل من خلال المنطق العقلاني مع موضوعات ذات طبيعة مجردة ولكنها تقبل الاختلاف. وذلك في قضايا مثل طبيعة السببية، إمكانية المعرفة اليقينية، طبيعة الوجود، طبيعة النفس الإنسانية، الفن والجمال... الخ. أما العلم فيتعامل من خلال المنهج التجريبي مع قضايا مثل طبيعة المادة، قوانين الطبيعة، التطور، وقضايا البيولوجيا والحيوان والإنسان.

يقدم الفكر الغربي الحديث صورة مبسطة للعلاقة بين هذه المجالات الثلاث. فالدين هو مجال ذاتي غير موضوعي لذلك لا يقبل المنطق العقلاني ومنفصل تماما عن الفكر الفلسفي. والعلم هو مجال موضوعي بشكل تام ويؤدي إلى اليقين بخصوص الحقائق العلمية اعتمادا على التجربة العلمية وعلى القوانين العلمية. لذلك هو أيضا منفصل عن الفكر الفلسفي الذي يقبل الاختلاف. وبهذا يكون كل من الدين والعلم منفصلين عن بعضهما البعض وعن الفلسفة.

والواقع، خصوصا بعد تقدم المعرفة في القرن العشرين الميلادي، هو أن المجالات الثلاث، الدين والعلم والفلسفة، تتداخل فيما بينها سواء فيما يخص أسلوب أو منهج البحث أو فيما يخص موضوع البحث. ويظهر ذلك واضحا في القضايا المشتركة، سواء "الدينية – الفلسفية" أو "الدينية – العلمية".

ويهمنا في هذا العمل القضايا الدينية – العلمية المشتركة. فقضية نشأة الكون، مثلا، هي قضية دينية – علمية مشتركة. الأديان السماوية تقرر بأن الله خلق الكون، وأن هناك حياة أخرى بعد فنائه. في حين أن العلم المعاصر يطرح نظرية الانفجار العظيم بدون أن يقدم تصور واضح عن سبب نشأة هذا الانفجار أو ماذا وجد قبله. كذلك تمثل نشأة الإنسان قضية دينية – علمية مشتركة. الأديان السماوية تقرر بأن الله خلق آدم وأنزله من الجنة إلى الأرض نتيجة لأكله من الشجرة المحرمة. في حين أن العلم الحديث يقرر بأن الإنسان خلق نتيجة للتطور الطبيعي من الأجناس الأدنى، وأن الإنسان نفسه قد تطور على مدى مليوني عام حتى وصل

إلى صورته الحالية. وتتعدد القضايا الدينية العلمية المشتركة فتتجاوز قضايا خلق الكون وخلق الإنسان لتشمل تحديد الحياة والموت، قضايا البيئة ومستقبل الإنسان، وأخلاقيات البحث العلمي، الهندسة الوراثية والتلاعب في جينات الكائنات، الخ.

في كل هذه القضايا ومثيلاتها هناك إشكالية أساسية تتمثل في التعارض المباشر بين الفكر الاعتقادي الديني والفكر العلمي التجريبي. فأصحاب الفكر الديني يرتكزون على الاعتقادات الدينية الأساسية وعلى النصوص الدينية عند اتخاذ موقف من أي من تلك القضايا. وذلك في حين يعتمد العلماء التجريبيون على التجربة العلمية وعلى النظريات العلمية عند اتخاذ موقف علمي منها. وفي الأغلب الأعم، إن لم يكن في كل القضايا، يتعارض الموقفان بصورة مباشرة.

أصحاب فكر الحداثة لا يرون مشكلة في هذا التعارض، إذ التصورات الدينية والمواقف المتخذة بناء عليها لا علاقة لها بالعلم وبالتالي ليست هناك مشكلة من حيث المبدأ. ولكن لأن الإنسان لا يمكنه أن يفصل اعتقاداته الدينية عن إيمانه بالتجربة العلمية فيصبح هذا التعارض مشكلة أساسية بالنسبة لأصحاب الاعتقادات الدينية على وجه الخصوص. ويصبح التساؤل التالي مطروحا بالنسبة لهم، هل تقدح النظريات العلمية في اعتقاداتهم الدينية، وهل يعني تمسكهم باعتقاداتهم الدينية أنهم معارضون للعلم وأن العلم يقتضي التخلي عن الاعتقادات الدينية.

هذه هي المشكلة الجوهرية التي يجب على أصحاب الأديان مواجهتها والتعامل معها واتخاذ موقف واضح بخصوصها. إما الاعتراف بأن الأديان عموما تكون مضادة للعلم لأنها لا تعتمد على التجربة الملموسة والنظريات التي وصل إليها العلم. وإما تقديم التصورات الكفيلة بإثبات أن الأديان، أو على الأقل الجزء منها الذي ينفي تعارضه مع العلم، قادرة على أن تطرح تصورات غير متعارضة مع العلم وأنها يمكن أيضا أن تكون متسقة معه.

ثانيا: منهج الفصل والوصل

نطرح في هذا العمل منهج الفصل والوصل باعتباره المنهج الصحيح للتعامل مع القضايا العلمية الدينية المشتركة حتى نحقق الهدف المطلوب وهو الحفاظ على كل من العلم والدين بدون أن يجور أحدهما على الآخر. فإذا أمكن تحقيق ذلك من خلال هذا المنهج يكون ممكنا القول بأن الدين المعين الذي يحقق هذا الهدف هو دين لا يتعارض مع العلم وإنما يتسق معه. كما سوف يمكننا القول بأن التصورات الدينية التي لا تحقق هذا الهدف، من خلال منهج الفصل والوصل، تعبر عن دين يتعارض مع العلم.

وهذا المنهج يرتكز على واحد من أهم الأعمال في التراث الإسلامي ومستخلص منه، هو معالجة قضية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني. ذلك أن قضية الإعجاز اللغوي في القرآن هي أحد نماذج القضايا العلمية – الدينية المشتركة. فقضية الإعجاز من حيث المبدأ هي قضية دينية تعتمد بشكل أساسي على الاعتقاد في أن القرآن الكريم هو كتاب منزل من عند الله جل وعلا، وتتضمن بطبيعة الحال الاعتقاد في وجود الله وفي صحة الرسالة المحمدية. أما موضوع الإعجاز، وهو لغة القرآن، فهو موضوع علمي، لأن اللغة لها قواعد وقوانين تجعلها أحد العلوم الإنسانية.

وقد عالج الشيخ عبد القاهر الجرجاني هذه القضية بصورة غير تقليدية وغير مسبوقة في تاريخ الفكر الإسلامي[٢]. فقد عالج القضية في مؤلفين أساسيين هما "الرسالة الشافية في الإعجاز" و"دلائل الإعجاز"، حيث موضوع المؤلفين واحد هو الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم. ولكن الدرس الدقيق لكل منهما يبين أن القضية التي عالجها في المؤلف الأول، وهو "الرسالة الشافية في الإعجاز" هي القضية الدينية (قضية الإعجاز) وأن القضية التي عالجها في المؤلف الثاني، وهو "دلائل الإعجاز"، هي القضية العلمية (قضية طبيعة اللغة). في المؤلف الأول يقوم بإثبات الإعجاز بالأسلوب الكلامي المعتمد على التصديق المبدئي والإيمان بالله. وفي الكتاب الثاني يقوم بإنشاء علم جديد هو "علم النظم" من أجل الاعتماد عليه علميا لإثبات الإعجاز.

إضافة إلى تقسيم الموضوع إلى قضية دينية وأخرى علمية، قام الشيخ عبد القاهر بإنشاء علاقة بين الاثنين تسمح بضمان وحدة الموضوع. وهذه العلاقة هي أن اللغة تتدرج

---

[٢] قمنا في دراسات عديدة بشرح وتحليل منهج الشيخ عبد القاهر الجرجاني في معالجة قضية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم وبيان أنه قد قدم منهجا جديدا يستطيع أن يحقق الاتساق بين القضية الدينية "الإعجاز" والقضية العقلية "اللغة"، انظر، سمير أبو زيد، ٢٠٠٥، "منهج التجديد الديني عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني"، ألقي في المؤتمر الدولي التاسع للفلسفة الإسلامية كلية دار العلوم – جامعة القاهرة أبريل ٢٠٠٤ ونشر في مجلة كلية دار العلوم، العدد ٣٦، أكتوبر ٢٠٠٥.

في التعقيد بلا حدود، وبذلك تصبح اللغة مثلها مثل العلم. فمثلما أن العلم الإنساني له حدود والعلم الإلهي ليس له حدود، كذلك فإن الاستخدام الإنساني للغة يكون له حدود في درجة التعقيد، في حين أن الاستخدام الإلهي للغة يكون بشكل ليس له حدود من حيث التعقيد.

ونتيجة لهذا الأسلوب تمكن الشيخ عبد القاهر من حل مشكلة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم حلا نهائيا لأول مرة منذ ظهورها في علم الكلام الإسلامي. وكان أحد النتائج المهمة لهذه المعالجة الرائدة هي ظهور علم النظم باعتباره علما ليس من علوم اللغة العربية فقط، وإنما علما من علوم اللغة على العموم.

وإذا تأملنا هذا الإنجاز الذي حققه الشيخ عبد القاهر سنجد أنه قد حقق الهدف المطلوب في قضية هي مثالا نموذجيا لقضية علمية – دينية مشتركة. فقد حافظ على الجانب الديني في القضية من خلال إثبات الإعجاز الإلهي في لغة القرآن الكريم بدون أن يهدر الالتزام بقواعد اللغة باعتبارها علما. وفي نفس الوقت استطاع أن يحافظ على علمية اللغة، على العموم، من خلال إنتاج علم النظم بدون أن يهدر القضية الدينية وهي الإعجاز. فحقق بذلك إنجازا لم يتحقق لأحد آخر في التراث الإسلامي تمكن من خلاله من الحفاظ على العلاقة الصحيحة بين العلم والدين وأن يثبت عدم التعارض بين الدين الإسلامي وعلم اللغة.

نتيجة لهذه النتيجة الباهرة التي حققها الشيخ عبد القاهر قمنا باستخلاص المنهج الذي استخدمه في حل قضيته العلمية الدينية المشتركة، وهي الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وتحويله إلى خطوات مجردة تسمح باستخدامه في أي قضية مماثلة من حيث البنية تتسم بكونها قضية علمية دينية مشتركة. وقد أسمينا هذا المنهج في صورته المجردة باسم منهج الفصل والوصل. وذلك لأن هذا المنهج يعتمد بشكل أساسي على خطوتين أساسيتين، الأولى هي فصل القضية الدينية عن القضية العلمية، والثانية هي الوصل بينهما من خلال العلاقة الرابطة. ومن خلال التطبيق الصحيح لهذا المنهج يمكن حل أغلب المشكلات الدينية العلمية المشتركة التي تواجه المجتمعات الإسلامية في أرض الواقع.

وقد قمنا في أعمالنا السابقة بطرح صورة مجردة مكونة من خطوات ثابتة لتطبيق هذا المنهج، وتتحدد خطوات هذا المنهج فيما يلي[٣]:

١. "الفصل – الوصل" هو على مستوى الموضوع العلمي المحدد وليس على مستوى قضايا العلم ككل أو على مستوى مجالات علمية كاملة.

[٣] انظر، سمير أبو زيد، ٢٠٠٩، "العلم والنظرة العربية إلى العالم – التجربة العربية والتأسيس العلمي للنهضة"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٣٤٣-٣٤٤.

٢. يتم تحديد الموضوع العلمي محل البحث بشكل دقيق، وتحديد ما إذا كان يمثل قضية علمية بحتة أم قضية علمية – دينية مشتركة.
٣. إذا كان الموضوع يمثل قضية علمية بحتة يتم التعامل معه حسب المناهج العلمية.
٤. إذا كان الموضوع يمثل قضية علمية – دينية مشتركة، يتم تحديد الموضوع بشكل دقيق وتمييزه عن الموضوعات العلمية المماثلة له.
٥. يتم تحليل الموضوع إلى موضوعين أحدهما علمي، والآخر ديني.
٦. يتم إنشاء العلاقة التي تربط بين شقي الموضوع.
٧. يتم معالجة الموضوع ضمن مجاله العلمي مع الاحتفاظ بصحة العلاقة التي تم إنشاؤها سابقا بينه وبين الشق الديني للموضوع.

ومنهج الفصل والوصل مثله مثل أي منهج آخر، لا تكون نتيجته صحيحة أو مفيدة إلا إذا كان تطبيق المنهج صحيحا. ولذلك يعتبر التطبيق الصحيح لخطوات الفصل بين المجالين وإنشاء العلاقة الرابطة بينهما شرطا لتحقيق نتيجة صحيحة. فإذا لم تكن تلك العلاقة صحيحة وواقعية لا يتحقق الهدف المطلوب. وبذلك تصبح العلاقة الرابطة هي الجانب الإبداعي في هذا المنهج. فإذا لم يتمكن الباحث من إبداع العلاقة الرابطة الصحيحة والواقعية فلن يتمكن من تطبيق هذا المنهج على موضوعه.

بهذه الصورة يصبح تطبيق منهج الفصل والوصل ممكنا على كل الموضوعات التي تتضمن شقا دينيا وشقا علميا، سواء كان ينتمي إلى العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية. فيمكن تطبيق هذا المنهج في العلوم السياسية في العلاقة بين الدين ونظام الدولة، باعتبار أن النظام السياسي للدولة هو علم في المقام الأول. كما يمكن تطبيق نفس المنهج على القضايا العلمية الدينية المشتركة في العلوم الطبيعية التي سبق ذكرها أعلاه، مثل نشأة الكون والطبيعة النهائية للمادة ونشأة الإنسان، الخ.

ولأن الموضوع الذي نهتم به في هذا العمل هو مشكلة الوعي الإنساني فسوف نقوم في هذا العمل بتطبيق منهج الفصل والوصل على مشكلة الوعي لبيان كيف يمكن أن نضمن عدم التعارض بين الجانب العلمي والجانب الديني لقضية الوعي.

ثالثا: مشكلة الوعي

الوعي كقضية فلسفية/علمية هو وريث مشكلة العقل والجسم التي هي الأخرى وريثة مشكلة الروح والجسد. مشكلتي "العقل والجسم" و"الروح والجسد" تنتميان إلى القضايا الدينية ـ الفلسفية المشتركة. فأغلب الأديان، سواء السماوية وغير السماوية، تطرح تصورا عن الروح أو النفس باعتبارهما منفصلان عن الجسم أو الجسد. في الأديان السماوية تعود الروح إلى السماء وتمر باختبار الحساب حيث تذهب إلى الجنة أو إلى النار بحسب عملها في الدنيا. هذا الموقف في الفكر الفلسفي يسمى الموقف الثنائي، الذي يرى أن الروح أو النفس أو العقل من جوهر مختلف عن جوهر الجسم أو المخ.

مرت هذه القضية بتطورات أساسية، خصوصا مع ظهور فكر الحداثة وظهور الفكر المادي الإلحادي الذي لا يعترف سوى بالمادة. فظهرت التصورات الواحدية، التي ترد الوجود الإنساني إلى جوهر واحد هو المادة أو إلى جوهر واحد هو النفس أو العقل. كما ظهرت تصورات عديدة ثنائية تربط بين المادة والعقل بصور مختلفة محلها هو المخ الإنساني. كذلك ظهرت تصورات براجماتية تقبل التعددية وبوجود أكثر من جوهرين أساسيين للوجود[٤]. في هذا الإطار اعتبرت التصورات الثنائية التي تفترض وجودا مستقلا للروح أو النفس أو العقل عن المادة متوافقة على العموم مع التصورات الدينية التي تؤمن بوجود العالم الآخر.

مع تقدم العلم الحديث في أبحاث المخ والأعصاب، خصوصا في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، أمكن التوصل إلى معلومات شديدة الأهمية بخصوص هذه القضية لم تكن متاحة للبشرية عبر حوالي ثلاثة آلاف عام هي عمر التفكير الإنساني في مثل هذه القضايا. فقد استطاع العلماء أن يرسموا خريطة تفصيلية للعقل البشري وأن يحددوا الوظائف المختلفة للمناطق المختلفة للمخ. كما استطاعوا أن يحددوا طريقة عمل المخ البشري وكيف تكون العلاقات بين خلاياه المختلفة ومناطقه المختلفة. وبذلك أصبح ممكنا معرفة المنطقة المختصة بالنطق، وتلك المختصة بالرؤية، وبالسمع واللمس والتوازن، الخ. كذلك استطاع العلماء في العقود الأخيرة تصوير هذه المناطق أثناء عملها من خلال الكشف عن النشاط

[٤] بالنسبة لاستعراض تفصيلي لنظريات العقل قبل ظهور مشكلة الوعي راجع عمل ديفيد أرمسج المعروف "نظرية مادية للعقل"، والذي نشر أولا عام ١٩٦٨،

David Armstrong, 1993. "A Materialist Theory of the Mind", Routledge, Pp. 5-120.

الكيميائي والكهربي داخل المخ. فأصبح بإمكانهم معرفة العديد من العلاقات بين الأحاسيس والمشاعر المختلفة وبين مناطق عمل المخ[٥].

كانت نتيجة هذه التطورات هي ظهور فكرة التطابق بين العقل والمخ وأن العقل ليس سوى العمليات والاتصالات الكهربية التي تجري في المخ. وبدأ التفاؤل في إمكانية معرفة كافة أسرار على المخ بما في ذلك أسرار المشاعر والإرادة والذاكرة والتحكم فيها، خصوصا بعد تطور قدرات الحاسبات وتطور أبحاث المخ والأعصاب مع نهايات القرن العشرين.

ولكن ما حدث هو العكس، إذ ظهر أن المخ ليس مجرد آلة حاسبة تتطابق فيها العمليات الحسابية مع الأحاسيس والمدركات العقلية. وظهر أن المخ هو أكثر تعقيدا بكثير مما طرح من تصورات. ونتج عن ذلك ظهور مفهوم الوظيفية الذي يتجاوز عن التطابق بين العقل والمخ ويركز على أن المخ يقوم بوظيفة (أو وظائف) معينة هي العقل[٦].

وتزامن مع هذا التحول في فلسفة العقل ظهور مشكلة الوعي باعتبارها المشكلة الأكثر جوهرية والأكثر صعوبة في فلسفة العقل. فإذا كان ممكنا مع ازدياد قدرة الحاسبات التعرف الدقيق على أسلوب عمل المخ وطريقة معالجته للمعلومات فإن المشكلة التي لا يمكن أن يحلها ازدياد قدرة الحاسبات هي الكيفية التي نعي بها هذه المعالجة. فنحن نعي كل من المشاعر والأحاسيس والذكريات وعمليات التفكير والتخطيط والتركيز، الخ بشكل واضح. ولكن كيف ينتج هذا الوعي، هذه هي المشكلة الحقيقية.

في هذا الإطار ظهرت مشكلات جديدة لم تكن مطروحة من قبل. مثل ما هي وظيفة الوعي، وهل من الضروري أن يكون الإنسان واعيا حتى يقوم بالعمليات العقلية بشكل كامل وصحيح. وهل الوعي هو وعي كلي واحد أم هو مكون من وعي جزئي متعدد. وكيف تتحول الإحساسات المادية مثل موجات الضوء والصوت والمركبات الكيميائية إلى مدركات كيفية داخلية مثل الرؤية والسماع والذوق والشم، الخ. كذلك كيف تتحول هذه الإحساسات والمدركات إلى مشاعر وأحاسيس كيفية مثل السعادة والشقاء والألم والنشوة، الخ[٧].

---

[٥] بالنسبة لعرض تفصيلي دقيق وحديث لآخر ما وصل إليه العلم من المعرفة بكيفية عمل المخ انظر،

Michael Arbib (ed.), 2003, "The Handbook of Brain Theory and Neural Networks", MIT Press.

[٦] بالنسبة للبحث الفلسفي في عمل المخ طبقا لآخر ما وصل إليه العلم انظر،

Georg Northoff, 2004, "The Philosophy of the Brain–The Brain Problem", John Benjamins Pub.

[٧] بالنسبة لشرح تفصيلي لمشكلة الوعي انظر عمل ديفيد تشالمرز الهام،

David Chalmers, 2003, "Consciousness and its Place in Nature", in in Stephen P. Stich and Ted A. Warfield (eds.), *The Blackwell Guide to Philosophy of Mind* , Blackwell, P. 102 – 142.

وبدلا من أن يتقدم الفكر الإنساني في فهم طبيعة عمل العقل وعلاقته بالمخ نتيجة لتطور القدرة التكنولوجية في سبر أغوار المخ وأسلوب عمله، اصطدم بمشكلة فهم الوعي الإنساني. فإذا كانت العمليات البيولوجية الطبيعية التي تجري في خلايا المخ الإنساني والتي تتم من خلال تبادل شحنات كهربائية وكيميائية تفسر جزءا كبيرا من عمل العقل في مجالات الذاكرة والإدراك وتحليل المدركات، فما هو تفسير ظاهرة الوعي. هذه هي المشكلة التي توقف عندها العلم المعاصر في بحثه في قضية العلاقة بين العقل والمخ[٨].

نتيجة لعدم ظهور نظرية تستطيع أن تفسر ظاهرة الوعي ظهرت في الفكر الغربي نفسه آراء تفيد بأن تفسير الوعي من حيث المبدأ غير ممكن لأن هذا يخرج عن قدرات البشر. هذه الآراء تسمى على العموم بالغموضية "mysterianism". وهذا النوع من نظريات الوعي بعضه لا يطرح على أساسي ديني أو على أساس أن الوعي له طبيعة منفصلة بشكل تام عن المادة الطبيعية، وإنما على أساس طبيعي. وذلك بمعنى أن المشكلة ناتجة فقط عن قصور قدرات الإنسان على الإدراك. وبعض هذه النظريات يطرح أيضا على أساس ديني وعلى أساس النظرية الثنائية المذكورة أعلاه. وكلا الاتجاهين يعتمد في تصوراته على المعطيات العلمية الحديثة والمعاصرة وليس على الاعتقاد الديني[٩].

بهذا المعنى تقدم لنا مشكلة الوعي صورة مثالية للقضايا العلمية - الدينية المشتركة. فمعطيات القضية جميعها هي معطيات علمية، ومضمون النتائج العلمية لهذه المعطيات محل اختلاف كبير بين العلماء. كما أنها ترتبط بالدين بشكل مباشر من حيث طبيعة الوعي الإنساني المرتبط بالنفس الإنسانية التي لها وجود مستقل في العالم الأخر. لذلك يعتبر التعامل مع قضية الوعي باعتبارها قضية علمية – دينية مشتركة مثالا جيدا لبيان كيفية التعامل مع مثل هذا النوع من القضايا.

---

[٨] يستعرض مايكل أنتوني التعدد الواسع في فهم ظاهرة الوعي في بحث بعنوان "مفاهيم الوعي، أنواع الوعي، معاني الوعي،

Michael Antony, 2002, "Concepts of Consciousness, Kinds of Consciousness, Meanings of Consciousness", *Philosophical Studies*, V. 109, Pp. 1 – 16.

[٩] يقسم يوريا كرايجل نظريوعي إلى "الغموضية" (Mysterianism)، الثنائية (Dualism)، التمثيلية (Representationlism) و"لمراقبة على المستوى الأعلى" (Higher-Order Monitoring Theory)، و"التمثيل الذاتي للوعي" (The Self-Representational Theory of Consciousness)، راجع،

Uriah Kriegel, 2007, "Philosophical Theories of Consciousness", *in Philip David Zelazo, Morris Moscovitch and Evan Thompson (eds.) The Cambridge Handbook of Consciousness*, Cambridge University Press, Pp. 35-66.

رابعا: مشكلة الوعي كقضية علمية – دينية مشتركة

يحتاج تقديم تفسير للوعي الإنساني يحقق الاتساق بين الجانبين العلمي والديني للقضية التعامل مع مجال واسع جدا من القضايا. فعلى الجانب الديني يحتاج إلى تقديم مراجعة شاملة للتراث الإسلامي فيما يخص ظهور مفهومي الروح والنفس في القرآن الكريم وكيفية تفسيرهما في كتب التراث. ويحتاج على الجانب العلمي إلى تقديم مراجعة شاملة للمعالجات العلمية المختلفة للوعي في علوم فيزياء الكوانتم وبيولوجيا الخلايا الحية وعلم المخ والأعصاب وعلم الحاسبات والذكاء الاصطناعي، إضافة إلى علم النفس والفلسفة.

من الواضح أن هذه المراجعة الشاملة غير ممكنة هنا، لذلك ما نطمح إليه هو بيان المدخل الصحيح لمعالجة هذه المشكلة. وذلك بحيث يمكن تمييز المعالجة الدينية التي تتعارض مع المعارف الثابتة في العلم من تلك التي لا تتعارض معها. وكذلك بحيث يمكن تمييز التصورات العلمية المعاصرة التي تتعارض مع التصورات الدينية، على العموم، من تلك التي لا تتعارض معها وتقدم تصورات تقبل الاتساق مع التصورات الدينية. ولتحقيق ذلك سوف نقدم تصورنا لكيف يمكن تطبيق منهج الفصل والوصل على قضية الوعي الإنساني بشكل صحيح. وكذلك تصورنا لكيفية إنشاء العلاقة الرابطة بين الجانبين التي تسمح مستقبلا بتحقيق تقدم ملموس في هذه القضية بدون تعارض بين الجانبين العلمي والديني للقضية.

أ. *تحديد وتمييز المفاهيم*

يلزم أولا من أجل إمكان الوصول إلى معالجة صحيحة للقضية أن نبدأ بتأسيس بعض التحديدات والتمييزات المفاهيمية الأساسية اللازمة.

١- التمييز بين التصورات العلمية الثابتة في ظاهرة الوعي وبين التصورات غير المتفق عليها[١٠].

ليست كل المفاهيم التي تم التوصل إليها في نظريات الوعي المعاصرة هي مفاهيم ثابتة علميا ومتفق عليها، وإنما البعض ثابت ومتفق عليه والبعض الآخر هو محل اختلافات شديدة بين العلماء والفلاسفة. والمفاهيم الثابتة تزداد بشكل مستمر، فمع تقدم العلم سوف تظهر بشكل مستمر مفاهيم جديدة تصبح ثابتة مستقرة. أما المفاهيم غير الثابتة وغير المتفق عليها فيمكن أن يثبت خطؤها جميعا كما يمكن أن يتحول بعضها إلى مفاهيم ثابتة مستقرة. على

[١٠] انظر تحليلنا التفصيلي لهذا المبدأ في، سمير أبو زيد، ٢٠٠٨، "العلم وشروط النهضة – التصورات العلمية الجديدة والتأسيس العلمي للنهضة العربية"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ٣٤٣-٣٤٥.

سبيل المثال تمثل قدرة العلم الحالية على تتبع العمليات العقلية في خلايا المخ والقدرة على تحديد خريطة شاملة لمناطق عمل المخ وما يترتب على ذلك من إمكانية الربط بين النشاط الكهربي والكيميائي لمناطق المخ المختلفة والإحساسات والمشاعر المختلفة من المفاهيم الثابتة علميا. ذلك في حين أن تصور وجود ارتباط مباشر بين أنشطة الخلايا الفردية (وليس مجموعات الخلايا) المختلفة وبين الشعور الواعي الإنساني (تسمى في الأدبيات Neural Correlates of Consciousness) من المفاهيم المختلف عليها علميا.

والتمييز بين الجانبين ليس شيئا بسيطا أو هينا، وإنما يتطلب دراسة علمية عميقة. ففي كل المجالات المختلفة التي تتشارك في دراسة الوعي الإنساني سوف يتطلب الأمر معرفة دقيقة بكل مجال منها تمكننا من تمييز الموضوعات الثابتة علميا من تلك غير الثابتة بشكل يمكن البناء عليه في قضية العلاقة بين النظريات العلمية والتصورات الدينية للوعي.

٢- التمييز بين مفاهيم الروح والعقل والنفس والوعي في التصورات الدينية

على الجانب الآخر، نتيجة لتطور قدرة الإنسان على معالجة قضية الروح والجسد ثم قضية العقل (أو النفس) والمخ، ثم قضية العلاقة بين الوعي والعمليات الكيميائية في المخ، يلزم إنشاء تمييز واضح بين مفاهيم الروح والعقل والنفس والوعي في الفكر الإسلامي. فالروح هي المفهوم الأكثر عمومية والذي قد يفهم عندما نتحدث عن الروح بشكل عام على أنه يشمل روح الإنسان والحيوان وربما النبات. أما في حالة تخصيص الروح للإنسان فيستخدم لفظ النفس الإنسانية التي ليس لها مقابل لدى الحيوان. وعندما نكون أكثر تخصيصا نستخدم لفظ العقل للدلالة على الجانب العقلاني أو المنطقي في النفس الإنسانية. أما الوعي فهو يستخدم بشكل محدود في الخطاب الديني الإسلامي. ولكي يمكننا معالجة القضية التي نطرحها هنا والخاصة بالعلاقة بين التصورات العلمية والدينية لمشكلة الوعي، سوف يلزم وضع تصور ديني واضح للعلاقة بين الوعي وكل من العقل والنفس والروح. هل الوعي مرادف للروح أم للنفس أم هو جزء من النفس الإنسانية أم ماذا؟

٣- المجال المشترك بين التصورات العلمية والتصورات الدينية

تنشأ العلاقة الرابطة بين الوعي كمفهوم علمي وبينه كمفهوم ديني عن تحديد المجال المشترك بينهما. فالوعي في النظريات العلمية المعاصرة يرتبط بشكل مباشر بالعمليات العقلية في المخ الإنساني والتي تشير إليها التغيرات الكهربائية والكيميائية في المخ. فمن الناحية العلمية ليس الوعي مرتبطا فقط بالمخ ككل وإنما بالبنية التنظيمية للمخ وبطبيعة العمليات

التي تتم في هذه البنية التنظيمية. كذلك مشكلة الوعي، علميا، ترتبط بشكل أساسي بتفسير كيفية تحول المدركات المادية إلى مشاعر كيفية وبكيفية الشعور بمتابعة العمليات العقلية الذاتية الإنسانية. أي أنه من الناحية العلمية يرتبط الوعي من الناحية المادية بالصورة التنظيمية للعمليات العقلية ومن الناحية الشعورية بإدراك هذه العمليات العقلية.

في مقابل ذلك تمتلك النفس الإنسانية في الأديان عموما، وفي الإسلام خصوصا، صفة الخلود حيث ترجع بعد الموت إلى بارئها في العالم. ولكن هذه النفس (في الدنيا) لها محل هو جسم الإنسان، وتمثل مفاهيم العقل والوعي جزءا من مفهوم النفس. وإذا كانت النفس ترتبط في حياة الإنسان، طبقا للتصور الديني، بالجسم، فإن كلا من العقل والوعي يرتبطان على الأرجح، في حياة الإنسان أيضا، بالمخ.

بذلك يمكن القول بأنه، من الناحية المادية، المجال المشترك للوعي بين التصورات العلمية "المعاصرة" والتصورات الدينية "الإسلامية" أثناء الحياة هو "المخ" الإنساني. ومن الناحية المعنوية يكون المجال المشترك هو "العقل" الإنساني. بعد ذلك تفترق التصورات العلمية والدينية عن بعضهما البعض. لذلك أي تصور يطمح لتحقيق الاتساق بين الجانبين يجب أن يطرح في حدود هذا المجال المشترك، كما أن أي علاقة رابطة في منهج الفصل الوصل يجب أيضا أن تطرح في حدود نفس هذا المجال.

٤- نظريات الوعي المتعارضة مع الدين الإسلامي.

بهذا المعنى يمكن تقسيم نظريات الوعي المعاصرة إلى قسمين أساسيين. قسم يتعارض من حيث المبدأ مع التصورات الدينية، عموما، والتصورات الإسلامية خصوصا. وقسم يمكن أن يتحقق الاتساق بينه وبين التصورات الدينية على العموم. ومن النظريات التي تتعارض مع التصورات الدينية الإسلامية النظريات المادية التي ترد العقل إلى المخ وتفترض أن العقل (ومن ثم الوعي والشعور والإحساس) ليس سوى ناتج جانبي أو وظيفة تقوم بها الخلايا الحية "المادية" للمخ. ومن أمثلة النظريات التي تقبل الاتساق، بصور مختلفة، مع التصورات الدينية النظرية الثنائية وكذلك صورة معينة من صور الواحدية المحايدة.

٥- التصورات الدينية المتعارضة مع المعارف العلمية الثابتة.

على الجانب الآخر يمكن أن تكون بعض التصورات الدينية متعارضة بشكل مباشر مع التصورات العلمية المعاصرة. وذلك في حال أنكرت هذه التصورات الارتباط المباشر بين العقل

والمخ، عموما، وبين الوعي والمخ خصوصا. كذلك في حال إنكار تأثر الحالة العقلية والوعي الإنساني بالتغيرات الحادثة في خلايا المخ. فهذا النوع من التصورات الدينية التي تفصل بشكل تام بين الروح والنفس والوعي، من ناحية، وبين الجسم والمخ، من ناحية أخرى، يطرح نفسه باعتباره متناقضا مع العلم المعاصر.

ب. شروط إنشاء نظرية في الوعي تحقق الاتساق بين العلم المعاصر والدين الإسلامي

طبقا لهذه التمييزات المفاهيمية اللازمة للتعامل مع مشكلة الوعي باعتبارها مشكلة علمية – دينية مشتركة، وطبقا لمنهج الفصل والوصل الذي طرحناه أعلاه للتعامل مع مثل هذا النوع من القضايا يصبح ممكنا طرح الشروط اللازمة للتعامل مع مشكلة الوعي:

١. تطبيقا لخطوة الفصل في هذا المنهج يلزم معالجة كل من الجانبين العلمي والديني بشكل منفصل كل منهما عن الآخر وطبقا للمنهج الملائم له. لذلك يلزم التعامل مع مشكلة الوعي باعتبارها قضية علمية طبقا للمنهج العلمي الصحيح. ويلزم من الناحية الأخرى مراجعة التراث الديني الإسلامي من حيث موقع مفهوم الوعي فيه **اعتمادا** على المناهج الدينية التراثية وبشكل مستقل تماما عن المعالجة العلمية/الفلسفية المعاصرة له. وعلى هذا الأساس يصبح من الخطأ الخلط بين المجالين ومحاولة طرح وجهة نظر دينية في الوعي على أساس فلسفي[١١].

٢. تطبيقا لخطوة الوصل يلزم إنشاء قضية رابطة بين الجانبين العلمي والديني لمشكلة **الوعي**. وهذه القضية الرابطة يجب أن ترتكز على المجال المشترك بين الجانبين، وهو ارتباط الوعي بالصورة التنظيمية لخلايا المخ، والفاعلية الكيفية لخلايا المخ ذاتها، سواء في صورة فردية أو في صورة مناطق معينة في المخ. وبذلك يصبح بالإمكان القول بأن النفس الإنسانية (التي هي مفهوم ديني) **تعمل في المخ من خلال** هذه الصورة التنظيمية لخلايا المخ.

٣. تطبيقا لشرط احترام القضية الرابطة بين المجالين، يصبح من الضروري أن يحترم **التعامل العلمي** (الذي يقبل الاتساق مع الدين الإسلامي) هذه العلاقة الرابطة و**يستبعد** التصورات العلمية/الفلسفية المادية ويركز على التصورات العلمية/الفلسفية الثنائية أو الواحدية المحايدة. وبذلك يركز على تفسير كيفية ظهور الوعي على مستوى الخلايا،

---

[١١] الدفاع عن وجهة النظر الدينية على أساس فلسفي هو أمر شائع في الفكر الفلسفي المعاصر في إطار فلسفة الدين. وطبقا لمنهجنا هنا يمثل ذلك خطأ منهجي، من ذلك مثلا مؤلف مورلاند المعنون: "**الوعي ووجود** □ – حجة دينية"،

J.P. Moreland, 2008, "Consciousness and the Existence of God – A Theistic Argument", Routledg.

وعلى مستوى مناطق المخ المختلفة، ثم أخيرا على مستوى المخ ككل، باعتباره جوهرا غير مادي مرتبط بالصورة التنظيمية للمادة (أي لخلايا المخ).

٤. وعلى الجانب الآخر وتطبيقا أيضا لشرط احترام القضية الرابطة بين المجالين، يصبح من الضروري أن يحترم التعامل الديني (الذي يقبل الاتساق مع العلم المعاصر) هذه العلاقة الرابطة ويستبعد التصورات الدينية لمفاهيم الروح والجسد التي تمنع إمكان الارتباط بالصورة التنظيمية لأسلوب عمل المخ. وبذلك يجب أن تركز هذه المفاهيم على كيف يمكن أن تفهم معاني "الروح" و"النفس" الإنسانيين في الدين الإسلامي بشكل يسمح بالارتباط بالصورة التنظيمية للمخ الإنساني.

هذا التصور لتطبيق منهج الفصل والوصل على مشكلة الوعي في إطار التمييز المفاهيمي المذكور أعلاه يظهر واضحا أنه يستبعد مساهمات عديدة في الموضوع تبدو في الظاهر أنها تدعم التصورات الدينية على حساب التصورات الإلحادية. فبعض هذه المساهمات تعتمد على مجال "فلسفة الدين" الذي يحاول أن يناقش القضايا الدينية اعتمادا على العقل. وهذا طبقا لمنهج الفصل والوصل هو خطأ منهجي. وذلك لأن الأديان المختلفة لها مبادئ اعتقادية مختلفة، وإعطاء الأولوية للعقل "الفلسفي" على حساب الاعتقادات يلغي مفهوم الدين من الأساس. لذلك لا تعد المقاربات المعتمدة على فلسفة الدين مقاربات صحيحة لمشكلة الوعي من حيث علاقتها بالدين.

كذلك يعد هذا التصور تقدما من حيث دراسة مشكلة الوعي وعلاقتها بالدين الإسلامي إذ تؤدي إلى ضرورة إنشاء مجال بحثي "إسلامي" جديد/قديم. هو قديم من حيث اعتباره بحثا في الروح، وهو جديد من حيث اعتباره بحثا في الوعي كجزء من مفهوم الروح. وذلك لأنه يفرض إطارا معينا لهذا المجال الجديد، وهو أن يكون غير متناقض مع معطيات العلم المعاصر الثابتة والمستقرة والتي لا يمكن إنكارها. ولذلك سوف يلزم في هذا المجال البحثي الديني الجديد استبعاد كافة الاجتهادات التراثية التي تتعارض مع مقتضيات العلم الثابتة. تماما مثلما فعل الشيخ عبد القاهر الجرجاني حينما استبعد كافة التصورات التي تتعارض مع مفهوم النظم باعتباره علما له قوانينه الثابتة غير القابلة للتغير[١٢].

[١٢] على الرغم من أن اتجاهات عديدة في التراث الإسلامي قبل الشيخ عبد القاهر الجرجاني هاجمت الشعر على أساس أنه ملهاة عن العبادة وعلى أسس الآية القرآنية "والشعراء يتبعهم الغاوون..إلى آخر الآيات" (الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦)، إلا أنه دافع في مستهل كتابه دلائل الإعجاز عن الشعر العربي دفاعا شديدا مبررا ذلك بأنه وسيلة لمعرفة إعجاز القرآن. وهذا يبين كيف أن الشيخ عبد القاهر يتبع المبدأ الذي أوردناه أعلاه، وهو اعتماد الاجتهادات في التراث التي تدعم قضية الاتساق بين العلم والدين.

الخلاصة

قمنا في هذا البحث بتقديم تصورنا لمعالجة مشكلة العلاقة بين الدين والعلم، عموما، وبين الدين الإسلامي والعلم، خصوصا. **وذلك من خلال معالجة مشكلة الوعي التي تمثل الصورة المعاصرة لمشكلتي العلاقة** بين العقل والجسم والروح والجسد. وقد اعتمدنا في هذه المعالجة على منهج الفصل والوصل والذي سبق لنا طرحه في أعمالنا السابقة والذي يرتكز على معالجة الشيخ عبد القاهر الجرجاني لقضية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.

قدمنا في القسم الأول من هذا البحث استعراضا موجزا لمشكلة العلاقة بين الدين والعلم. وبينا أن هناك قضايا علمية لا ترتبط بالدين تمثل المعارف العلمية الثابتة التي لا تتغير من دين لآخر، وقضايا دينية تخص الاعتقادات الدينية غير المرتبطة بالعلم. وبينا أن مشكلة العلاقة بين العلم والدين تتركز في القضايا التي تتسم بأنها علمية – دينية مشتركة، **أي بأن** يكون لها جانب علمي وجانب ديني في نفس الوقت.

وفي القسم الثاني من هذا العمل بينا أن المنهج الملائم للتعامل مع مثل هذا النوع من القضايا هو منهج الفصل والوصل. وبينا كيف أن هذا المنهج يرتكز على أسلوب معالجة الشيخ عبد القاهر لقضية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم في عمليه المعروفين **"دلائل الإعجاز" و**"الرسالة الشافية في الإعجاز". ثم استعرضنا بعد ذلك الصورة المجردة لهذا المنهج والتي تتكون من خطوات منهجية محددة يمكن تطبيقها على مجال واسع من القضايا الدينية – العلمية المشتركة أو القضايا الدينية – الفلسفية المشتركة.

في القسم الثالث استعرضنا بشكل موجز مشكلة الوعي في الفكر الفلسفي والعلمي المعاصر. وبينا أن هذه المشكلة تمثل الصورة المعاصرة لمشكلتي العقل والجسم والروح **والجسد.** وبينا أنه على الرغم من أن التطورات الحديثة والمعاصرة في علوم **المخ والأعصاب** والذكاء الاصطناعي قد أتاحت للبشرية إمكانيات كبيرة في التعامل مع مشكلة العقل إلا أنه على الرغم من ذلك ظلت الجوانب الكيفية لأسلوب عمل العقل عصية على التفسير. وأنه قد ظهرت بعد ذلك مشكلات أكثر عمقا تمثلت في كيفية تفسير الإدراك الكيفي للوعي للمدركات الحسية والمادية، وكذلك تفسير كيفية إدراك الوعي للعمليات العقلية.

كما بينا في هذا القسم أن هناك تعددا كبيرا في نظريات تفسير الوعي في الفكر المعاصر إلى حد ظهور تصورات ترى أنه لا يمكن تفسير الوعي من حيث المبدأ حيث أنه يخرج عن قدرة الإنسان على تفسير. ويسمى هذا النوع من التفسير بالغموضية "Mysterianism".

وبينا كذلك أن هناك نظريات للوعي تتناقض من حيث المبدأ مع الأديان عموما، وأخرى يمكن أن تتوافق معها بشرط اعتماد المنهج الصحيح في التعامل معها.

وفي القسم الأخير من البحث قدمنا تصورا للصورة الصحيحة للتعامل مع مشكلة الوعي حتى يمكن أن نحقق الاتساق بين المعارف الثابتة في العلم المعاصر، والدين الإسلامي. وقدمنا بعض المفاهيم والتمييزات الأساسية اللازم الاعتماد عليها حتى يكون تطبيقنا لمنهج الفصل والوصل تطبيقا ناجحا. ثم قدمنا تصورا للصورة الصحيحة لتطبيق منهج الفصل والوصل في ضوء المفاهيم والتمييزات التي تم تحديدها سابقا. وذلك بحيث يؤدي هذا التطبيق إلى تقدم في معالجة مشكلة الوعي بدون وجود تعارض أو تناقض بين التصورات العلمية المعاصرة الثابتة وبين التصورات الدينية الإسلامية.